الْقِرَاءَةُ التَّكَامُلِيَّةُ لِلنَّصِّ التُّرَاثِيِّ الإِسْلَامِيِّ الْعَرَبِيِّ عِنْدَ طَه عَبد الرَّحمَن

The integrative reading of the Arab Islamic heritage text according to Taha Abd al-Rahman

د/ طارق بومود[1]

جامعة 20 أوت 1955- سكيكدة

boumoud.tarek@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/05/21 تاريخ القبول: 2024/09/09 تاريخ النشر: 2024/09/27

ملخص:

تروم هذه المداخلة كشف البنية التصورية للمنهج القارئي الذي اعتمده طه عبد الرحمن في مقاربته للتراث العربي الإسلاميّ ضمن نظرته التّداولية والتّكاملية له، باعتباره وحدة كلية تُسْتَجْمَعُ فيها ما تركيب من منجزات حضارية، وعلمية وثقافية وتاريخية، وأدوات تأصيلية، وآليات منهجية، تشكلت عبر حقب زمانية متلاحقة، وضمن مجالات تداولية مخصوصة التي يعدها أساسا مهم لفهم التراث، واستيعاب مضامينه وتوظيفه وسائله في علمية بناء الوعي بالتراث، وكيفية التجديد فيه، لأنه قابل للتكوين وإعادة التقويم، وهذا لا يظهر لنا إلا من خلال عملية قِرائية واعية، وذلك وفق مقاربة نظرية تكاملية تتناول هذا التراث، وتقوم على أصول ثلاثة: التداول، والتداخل، والتقريب، وهي مفاهيم تشتغل جمعيها في نسق تكاملي وظيفي بغرض فهم النّص التراثي والتحاور معه وتقويمه. ومن هذا المنطلق يكون عملنا في هذه الدراسة هو الإجابة عن الإشكالية المطروحة وما تفرع منها من أسئلة، ومفادها: ما المقصود بالقراءة التكاملية للنص التراثي عند طه عبد الرحمن؟ وما الأصول المعرفية والآليات المنهجية التي اعتمدها في تحقيق هذه القراءة التكاملية؟

الكلمات المفتاحية: الْقِرَاءَةُ التَّكَامُلِيَّةُ، النّصُّ التُّرَاثِيُّ، التّدَاوُلُ، التَّدَاخُلُ،التَّقْرِيبُ.

Abstract:

This intervention aims to reveal the conceptual structure of the reader approach adopted by Taha Abdel Rahman in his approach to the Arab-Islamic

[1] – المؤلف المرسل: د/ طارق بومود، الإيميل: boumoud.tarek@gmail.com

heritage within his deliberative and integrative view of it, as a holistic unit in which the complex of civilizational, scientific, cultural and historical achievements, original tools, and methodological mechanisms are collected, formed through successive eras of time, and within specific deliberative fields, which he considers an important basis for understanding heritage, absorbing its contents, employing it and its means in the process of building awareness of heritage, and how to renew it, because it is configurable and re-evaluated, and this does not appear We only have it through a conscious reading process, according to an integrative theoretical approach that deals with this heritage, and is based on three principles: circulation, overlap, and approximation, which are concepts that all work in an integrated and functional system for the purpose of understanding, dialogue and evaluation of the heritage text. From this standpoint, our work in this study is to answer the problem posed and the questions that branched from it, namely: What is meant by the integrative reading of the heritage text according to Taha Abdel Rahman? What are the knowledge assets and methodological mechanisms he adopted in achieving this integrative reading?
Keywords: integrative reading, heritage text, circulation, overlap, approximation

الْمُقدِّمَةُ:

تتنزّلُ مادةُ هذه الدِّراسة في سياق إبراز حضور سؤال قراءة التّراث الإسلاميّ العربيّ في كتابات **طه عبد الرحمن**، من خلال نظرته التَّكامليَّة له، باعتباره بنية كلية جامعة لمختلف المنجزات الحضاريَّة، والثقافيَّة، العلمية، والمناهج التأويلية التي تكوّنت ضمن مسارات تاريخية متباينة ومتلاحقة؛ حيث يطبعُها التداخل والتكامل والتقارب، وقد بُنِيَّتْ ضمن سياقات دينية وتداولية مخصوصة، فهو يَعُدُّهَا أساسًا مُهِمًا لتحقيق قراءة معمقة وواعية للنص التّراثي، واستيعاب مكوناته الأصولية، ومعرفة مضامينه ووسائله وهذا في إطار علميَّة بناء آليات الوعي القرائي لمورثنا الحضاري، وكيفيَّة التجديد فيه؛ لأنه قابل للتكوين، وإعادة التقويم، ولا يتأتى ذلك إلى عبر التآلفّ المنهجي الذي يتجاوز أحاديَّة المنهج، ويبتعد عن توظيف الأعمى للمناهج القرائية الوافدة، والغربية عن مجاله التداولي.

وقد دعا **طه عبد الرحمن** إلى اعتماد منهجيَّة تكامليَّة في قراءة التراث الإسلامي العربي، وقد بناها على ثلاثة أصول: **التداول، والتداخل، والتقريب**، وهي مناويل منهجية تعمل جمعيها في نَسَقٍ تشاركيّ ووظيفيّ، ابتغاء فهم التُّراث واستيعابه والتَّحاور معه وتقويمه.

وقامت هذه المداخلة على إشكالية رئيسة مفادها: كيف يمكننا أن نعي النّص التّراثي الإسلامي العربي؟ وما الآليات القرائيَّة التي وظفها طه عبد الرحمن لأجل تحقيق ذلك؟ وقد فرعت عنها أسئلة فرعية أهمها: ما حقيقة النص التُّراثي الإسلامي العربي؟ وعلى أي أصول نظريَّة وآليات منهجيَّة ارتكز عليها طه في تعامله مع هذا التراث؟ وكيف السبيل إلى تحصيل قراءة تكاملية تُسهم في تقييم التراث وتقويمه؟ وما موقف طه عبد الرحمن من القراءات المعاصرة للتراث؟

1- دوافع تجديد قراءة التراث العربي الإسلاميّ عند طه عبد الرحمن:

لقد انطلق **طه عبد الرحمن** في تجديد آليات قراءة التراث العربي الإسلامي من مفاهيمه التصورية من خلال تقديم نقد وتقويم لهذا التراث، معتبرًا أنَّ الآليات المنهجية التي قدمت لقراءته - من لدن بعض المحدثين يعتريها قصوراً في التصور ومشكلات في المنهج والتجزئة والتفاضل في التعامل مع المورث الحضاري للأمة العربية الإسلامية، وذلك أنها اعتمدت ثلاث آليات معرفية ومنهجية حددها **طه عبد الرحمن** في: العقلانية، والإيديولوجية والفكرانية؛ حيث نعتها بالتحيز والتبعية في قراءة تراثنا ما أدى إلى إعطاء تصورات خاطئة للتراث يمكن أن نوجزها في الآتي:

1- تنظر إلى مضامين التراث وهي معزولة عن سياقاتها التداولية؛ كما أنها تقتصر على نقد مضامينه العلمية دون البحث في الوسائل المنهجية التي انتجته، وشكلت تصوراته المعرفيّة.

2- تتوسل بالآليات المنقولة لا المؤصولة، وتوظيف النظريات القرائية الوافدة لفهم التراث وتفسير مكوناته المعرفية.

3- تعتمدُ هذه القراءات الحديثة على مفاهيم العقلانية المستوحاة من الحداثة الغربية.

4- تقومُ هذه القراءة على النظرة التجزيئية والتفاضلية في فهم التراث العربي.

وهذا ما دفع **طه عبد الرحمن** إلى ترك هذه القراءة القاصرة والمتحيزة، ويراها أنها عاجزة على الإيفاء بمضامينه وآليته. كما يدعو إلى ضرورة وضع أهم شرائط التجديد المنهجي والعمل على بناء مقومات الإبداع والتحرر من براثن التقليد وجاذبية الحداثة.

2-مفاهيم متعلقة بالقراءة التكامليّة للنص التّراثيّ عند طه عبد الرحمن:

ينطلق **طه عبد الرحمن** في بناء مفاهيم قراءة التراث من طرح سؤال محوري يخص المنهج وهو كيف نجدد قراءتنا للتراث؟ فقد بدأ أولا بتفكيك المفاهيم وتحليلها؛ حيث وقف عند **مفهوم النص التراثي الإسلامي العربي**،كاشفا طبيعته وخصائصه ومكوناته، ثم بعد ذلك انتقل إلى بيان المحددات المنهجية الثلاثة التي يجب مراعاتها في أثناء قراءة التراث وهي: **المحدّد التداوليّ، والمحدّد التداخليّ، والمحدّد التقريبيّ.**

3- النص التراثي: مفهومه وخصائصه وتداوله:

لقد قام طه بتحديد دلالة النص ضمن سياق دلالته المعجمية والاصطلاح ضمن منظور تداولي.

1.3النص في اللّغة:

نجد أنّ المعنى اللغوي لكلمة (النّص) تجمع بين الدلالات الحسية والمعاني المجردة فالنص إجمالا، يدل على الظهور والإظهار والسير والاكتمال في الغاية وأقصى الشيء. ومن ثم؛ فإن معناه معجميا لاقتصر على الأقوال فقط، بل يمتد إلى السلوك العملي؛ أي

الأفعال بوجه عام؛ حيث نجد أن الفعل (نَصّ) في كلام العرب يدل على القول الملفوظ أو المكتوب، كما يشير إلى السلوك العملي، وبذلك يكون معنى النص هو عبارة كل خطاب أو سلوك اتسم بالارتفاع والظهور والسير قصد الوصول بمضامينه ووسائله إلى الغاية المطلوبة.

2.3- النّص في اصطلاح:

عرف طه عبد الرحمن النص، بأنه " عبارة عن متتالية من الوحدات المقترنة فيما بينها بعلاقات الالتحام التركيبي وبعلاقات الالتئام الدلالي"[1] وفي مواضع أخرى أضاف للنص دلالة جديدة متعلقة بالجانب العملي السلوكي، فهو يرى أن النص هو" كلّ خطاب أو سلوك يبلغ في مضامينه أو وسائله الغاية في إظهار الوجود الكسبي للمسلم العربي"[2] بهذا أخذ النصُ عند طه أبعاداً جديدةً تجاوز الدلالة اللغوية إلى حقيقة الفعل الكسبي للمسلم ضمن وجوده الرسالي.

أما **مصطلح التراث** فنجد أن **محمد عابد الجابري** قد تتبّع دلالة كلمة (التراث) في المعاجم العربيَّة القديمة فوجد أنّ التّراث بمعنى الموروث الثّقافي والفكري والدّيني والأدبي لم يتشكل مفهومه في سياق الخطاب العربي القديم والمعاصر، وفي ذلك يقول: "لم يكن حاضرا لا في خطاب أسلافنا، و لا في حقل تفكيرهم، كما أنّه غير حاضر في خطاب أيَّة لغة من اللّغات الحيَّة المعاصرة التي نستورد منها المصطلحات والمفاهيم الجديدة علينا. وهذا يعني أنّ مفهوم التّراث كما نتداوله اليوم إنّما يجد إطاره المرجعي داخل الفكر العربي المعاصر ومفاهيمه الخاصة وليس خارجها"[3].

وقد قدَّم عالم الآثار والتراث الأمريكي (**ويندیل فیلیبس**) تعريفا للتراث؛ إذ يرى بأنّه "عبارة عن استمرارية ثقافية على نطاق واسع في مجالي الزمان والمكان، تتحدد على أساس

التشكيلات المستمرة في الثقافة الكلية، وهي تشمل فترة زمنية طويلة نسبيا، وحيزا مكانيا متفاوتا نوعيا، ولكنه متميز بيئيا"[4].

أما طه **عبد الرحمن** فقد أعطى تصورا جديدا للتراث ضمن اندراجه مع النص وفق تصوره؛ فهو يرى أن هذا النص سلوكًا عَمَلَيّا؛ أي: أفعالاً؛ مأخوذ من " الفعل نصٌّ، كما أنّ القول نصٌّ إلا أنّ الأوّل نصٌّ سلوكيّ، والثاني نصٌّ خطابي"[5] ليصل في الأخير إلى ربط مفهوم النص بالتراث ما أدى إلى ظهور مصطلحًا جديدا سماه بـ(**النص التراثي**). وقد حدّد مفهومه بقوله: " النص التراثي الإسلامي العربي عبارة جملة من العناصر الخطابيَّة أو السلوكيَّة التي تقترن فيما بينها بعلاقات الالتحام التركيبي، وعلاقات الالتئام الدلالي، اقترنًا يُبلغُ الغايَّة في إظهار الوجود الكسبي للمسلم العربي"[6].

ويعرفه في وضع آخر بقوله: "إن التراث الإسلامي العربي عبارة عن جملة المضامين والوسائل الخِطابيَّة والسلوكيَّة التي تُحدّد الوجود الثقافي الإسلامي العربي، سواء أكانت نصوصا أصليَّة أم كانت اجتهادات متفرعة عيها، وسواء أكانت نصوصا مكتوبة أو كانت أقولا منطوقة، وسواء أكانت سلوكات ظاهرة أم كانت سلوكات خفيَّة، وسواء أبقينا فرادى أو جماعات على اعتبارها والحمل بها أم صرنا إلى إلغائها وترك العمل بها"[7].

وبناء على التعريفين السابقين، نجد أن **مفهوم النص التراثي الإسلامي العربي** عند **طه عبد الرحمن** يحمل المضامين والوسائل الخطابية والسّلوكية التي تحدّد الوجود الإنتاجي للمسلم العربي في أخذه بمجموعة مخصوصة من القيم القومية والإنسانية حيّة كانت أم ميتة، وهذا ما دفعه إلى الوقوف أمام هذا النص التراثي ضمن علاقة الماضي بالحاضر والمستقبل على صعيد بناء تصوّر موضوعه، وتأسيس منهج قراءته، والعمل استيعاب قضاياه، وفهم مشكلاته.

4- إشكالية قراءة التراث عند العرب المحدثين:

لقد قدمت العديد المشاريع الفكرية لقراءة التراث العربي حيث تباينت رؤيتها وتعددت مواقفها واختلفت منهاجها في القراءة والتأويل لهذا التراث، وقد برزات إشكالات كثيرة تعلق بتحديد نوع العلاقة بين (**التراث والحداثة**)، أو (**الأصالة والمعاصرة**)، أو (**الثابت والمتحول**)، أو (**التراث والتجديد**)، وقد نشأت هذه الثنائيات في سياق محاولة الخروج من أزمة التخلف الحضاري في الوطن العربي، وقد وصفها بعضهم بأنها لحظة تعيش على إيقاع السؤال الأعظم الذي لا يزال مطروحا في المجال العربي والإسلامي ألا وهو **إشكالية النهضة أو الخروج من التخلف**، وهي إشكالية لها علاقة بالتراث العربي ومستقبله، والتي تتصف " بنوع من التوتر والقلق والالتباس في العلاقة، بين الماضي المستقبل(...) ، مما جعلها تبقى علاقة، لا تقوم لا على الاتصال ولا على الانفصال، وإنما على التنافر والتدافع"[8]. ومما جعل هذا التراث يتخبط في جملة من الإشكالات الإسبتمولوجية والمنهجية العميقة التي أدخلته في دوامة من القراءات المتعددة والمتصارعة والمتباينة.

وللإجابة عن هذه الإشكالية ظهرت مقاربات قرائية معتمدة للتراث العربي إذ يطبع عليها تجاذبات فكرية، وصراعات أيديولوجية، واتجاهات متأثرة بالحداثة ومدارسها الفلسفية؛ مما انبثق عن ذلك تيارات تراثية وعلمانية وحداثية متعددة التوجهات والمسارات تسعى إلى إعادة قراءة التراث وفق منطلقاتها ومناهجها وأهدافها، ويمكن حصرها في ثلاثة اتجاهات كبرى، وهي:

أولا- القراءة الإحيائية التمجيدية للتراث العربي :

تقوم هذه القراءة على استرداد التراث كما هو بغرض إحيائه وبعثه من جديد عبر إعادة تحقيقه ونشره دون وجود نقاش فاعل له، أو بالتوقف عنده بنظرة تقديسية تعظِّم هذا التراث ولا تنتقده. ويرى هذا الاتجاه أن لا يمكن الخروج عن مضامين وآلياته باعتباره

مرتبط بالوحي قرءانًا وسنةً مما أسكبه قداسة، وقد سُمِّتْ هذه القراءة **بالفهم التراثي**؛ لأنَّ أصحابها يوظِّفون في فهمه أصولًا وقواعدَ وآليات موجودة فيه، فنتج عن هذه القراءة ظهور فريقين: الأول يتبنى التفسير بالمأثور، والثاني يعتمد على التفسير بالرأي؛ كلهما يستند إلى النصوص المنقولة والوقائع التاريخية، المدونة اللغوية العربية الفصحية للوصول إلى الفهم والتفسير والتأويل.

وقد وجه إلى هذا الاتجاه انتقادات منها " أنها قراءة تاريخية تفتقد إلى الحد الأدنى من الموضوعية ولا تنتج سوى نوع واحد من الفهم للتراث هو الفهم التراثي للتراث، بمعنى أن التراث يحتوى القراءة، ولا يستطيع أن تحتويه؛ لأنها التراث يكرِّر نفسه"[9]، كما أنّ هذه القراءة " لم ترق إلى درجة الفهم الموضوعي للنص لتميزه بالنظرة الاستعلائية، والمفارقة للواقعة وللتجربة المعاشة، المرتبطة بالبعد السوسيولوجي التاريخي "[10]. وقد تميزت هذه القراءة بجملة خصائص نوجزها فيما يلي:

- الاحتكام في قراءة النص التراثي فهمه إلى النصوص المأثورة سواء أكان وحيا أم تفسيرا أم لغةً.

- يرى أصحاب قراءة التراثية الإيحائية أن النّص التراثي مكتف بذاته من جهة أدواته التأصيلية وآليات التفسيرية ومناهجه الاستدلالية فهى لا يحتاج إلى غيره .

- يمثل النص التراث العربي عند هذا الاتجاه الهوية الحضارية،الخصوصية الثقافية والتمايز الحضاري التي تؤثر في تكوين الوعي، وبناء الرؤية والاستقلال العلمي.

ثانيا- القراءة التفكيكية للتراث العربي :

تسعى هذه القراءة إلى تجاوز القراءات التقليدية والاتباعية للتراث؛ لأنها قراءة منغلقة، ولا تنفتح على غيرها في سياق وراهنتها المعرفية، وذلك لادعائها امتلاك النص التراثي الحقيقة المطلقة، لذا جاء القراءات الجديدة للتراث تتبني آليات أخرى هي أكثر

نفعية، تتّصف بالتفكيك والاختراق والحفر معتمدة على مناهج وآليات غربية، تهدف إلى تأسيس قراءة واعية لبنية التراث العربي وتجاوز مقولاته التراثية التي وجهت عمليات تفسير التراث وتأويله في الوطن العربي.

وهذه القراءة تعمل تجاوز التراث وإحداث قطيعة ابستمولوجية، وهذا نجده مجسدا في مشروع (**الثابت والمتحول**) لعلي أحمد سعيد المعروف بـ (**أدونيس**)؛ إذ يطالب بإهدار التراث كتلة واحدة باعتباره سلباً مطلقاً، على حد قوله: "إن الثقافة العربية بشكلها الموروث السائد ذات مبنى ديني، أعني أنها ثقافة اتباعية، لا تؤكد الاتباع وحسب، وإنما ترفض الإبداع وتُدينه، فإن هذه الثقافة تحول بهذا الشكل الموروث السائد، دون أي تقدم حقيقي. لا يمكن - بتعبير آخر - أن تنهض الحياة العربية ويبدع الإنسان العربي إذا لم تتهدم البنية التقليدية للذهن العربي، وتتغير كيفية النظر والفهم التي وجهت الذهن العربي وما تزال توجهه".[11] مستنجدا بآليات منهجية مستوحاة من الحداثة الغربية.

كما نجد أنّ **الجابري** يُقدِّم مشروعاً قرائيًّا للتراث العربي، انطلاقًا من **العقلانيَّة النَّقدية** في فهم التراث، ضمن قراءة تاريخية تبتعد عن الانتقائية التي تحكمها أيديولوجية، معتبرا أنّ انتقادنا للتراث لا يتحقق إلا بعد الدخول في حوار معه، كما يدعو إلى التمييز - عند القراءة – بين تاريخنا السابق واللاحق على مستوى تحقيق الوعي التاريخي، وهذا من خلال التفريق بينهما، وفي هذا السياق يقول : "إن من الشروط الضرورية لنهضتنا تحديث فكرنا، وتجديد أدوات تفكيرنا وصولاً إلى تشيدِ ثقافة عربية معاصرة وأصيلة معا (...)، وعندما يتعلق الأمر بفكر شعبي أو أمة، فإنّ عملية التجديد لا يمكن أن تتم إلا بالحفر داخل ثقافة الأمة إلا بالتعامل العقلاني النقدي مع ماضيها وحاضرها"[12] ويدعو الجابري إلى التخلي عن القراءة التراثية للتَّراث؛ أي التحرر من الرواسب

التَّراثية في فهمنا له، وعلى رأسها (**القياس النحوي، والفقهي، والكلامي**)والقطيعة الابستمولوحية التي يدعو إليها الجابري ليست القطيعة مع التَّراث في ذاته، بل مع نوع من العلاقة مع التَّراث، القطيعة التي تحولنا من كائنات تراثية إلى كائنات لها تراث[13]. وإن الناظر في الخلفيات المعرفية والآليات المنهجية التي اعتمدها الجابري في قراءة التراث هي وسائل مستنسخ من النموذج الغربي ولاسيما استعارته لمفاهيم القطيعة الابستمولوجية وتوظفها في فهم التراث العربي الاسلامي ولاسيما **القطعية مع التفاسير والأيديولوجيات القديمة** ومع جل الخطابات اللاعقلانية.مما جعل هذا المشروع القرائي للتراث يواجه انتقادات لاذعة من العديد من المفكرين ولا رأسهم طه عبد الرحمن.

ثالثا- **القراءة التكاملية للتراث الإسلامي العربي عند طه عبد الرحمن**:

تقوم الاستراتجيَّة **طه عبد الرحمن** في قراءة التراث على مصطلحات أساسيَّة مترابطة، يُفضى بعضها إلى بعض، وقد أوردها في سياق الإجابة عن سؤال محوري يتعلق بكيف نجدد النظر للتراث؟ ولإجابة عن هذا السؤال اشغال طه عبد الرحمن في مشروعه القرائي على ثلاثة مستويات:

المستوى الأول- نقد الخطابات التجزيئية والتفاضلية في قراءة التراث.

المستوى الثاني- التأسيس لقراءة التراث قراءة تكاملية اعتمادا على آليات التداخل المعرفي.

المستوى الثالث- التأسيس لقراءة التراث قراءة تكاملية اعتمادا على آليات التقريب التداولي.

هذا، وقد قامت هذه النظر أو القراءة للتراث عند **طه عبد الرحمن** على أسس منهجية وآليات تحليلية يمكن تحديد فيما يلي:

- الابتعاد عن النظرة التفاضلية والتجزيئية للتراث المستوحاة من آليات منهجية مستوحاة من الحداثة الغربية، وقد انتقد طه هذه النظرة قائلا: "اعلم أن أسباب تركنا للنظر السّائد في التراث تقوم في أربعة هي :الاقتصار على النظر في المضامين، والتوسل بالآليات المنقولة، والتلويح بالعقلانية، والدعوة إلى التجزيئية".[14]

- تحديد أصول المجال التداول الإسلامي العربي من جهة خصوصياته، وقواعده وضوابطه في عملية قراءة التّراث وتحليله وتقويمه؛ والابتعاد عن المجال التداولي الغربي في القراءة والتحليل والتفسير، ذلك أن "الاحتكام إلى المجال التداولي الإسلامي روحا ومنهجا والتحرر من أية سلطة فكرية غربية توجه البحث، ومن هنا وضع حدًا لمرجعيات تحشر نفسها في كل قضية، وأزاح كابوس الإحالات المفتعلة والمغرضة لدى الكثيرين من أصحاب القراءات ووضع ما سماه(**الآليات الإنتاجية**)التي رتب قوانينها، وبين خصائصها، فأصبح مشروعه هرمًا معماريا من المصطلحات والمفاهيم التي تم تشكيلها بتلقائية"[15].

لذا، يرى **طه عبد الرحمن** أنّ النظر إلى التراث العربيّ وقراءته ونقده وفق أفق الحداثة الغربية قد يفضى بنا إلى خلقِ أزمة وعي في فهمه، وغموض في تصوره، وتيهاً في مستقبله، معتبرا أن مرتكزات الحداثة الغربية هشة في تصوراتها الوجودية القائمة على المادية الطهرانية.

5- مقاصد قراءة النص التراثي عند طه عبد الرحمن:

- مطالبة قارئ النص التراثي بالتدليل على وسائله ومضامينه المختزنة في بنيته المعرفية.

- السعي إلى كشف الآليات اللغوية والمنطقية والأصولية التي أُنتج بها التراث، ابتغاء فهمه وتقويم مضامينه من خلال فهم نصوصه واستيعاب مختلف قضاياها.

- الاعتماد على أصول التقريب التداولي الإسلامي التي تُمَحِّص المنقول من التراث الأجنبي ليصير ملائما للمجال التداولي الإسلامي العربي.

- التزود بالعدة العلمية والمنهجية وتوظيفها في عملية قراءة التراث وتقويمه ضمن رؤية تتجاوز التجزؤ التفاضلي إلى النظرة التكاملية في الاشتغال بالتراث.

6- ضرورة تجديد المنهج القرائي لفهم التراث الإسلامي العربي:

لقد دعا **طه عبد الرحمن** إلى ضرورة تجديد المنهج القرائي حتى نصل إلى فهم إشكالات التراث، وإعادة صياغته في مبادئ معرفيَّة معلومة دون الخضوع إلى القوالب الفلسفيَّة الجاهزة التي تخضعنا إلى منطق التبعيَّة والتقليد، حيث يرى أن تحقيق الإبداع الفلسفي المنشود يكون بإنتاج فلسفة عربيَّة أصليَّة تُسهم في تأسيس الحداثة الإسلاميَّة من تقديم الجواب الإسلاميّ على إشكالات الزمان والمكان ومتكئًا على منهج جديد قائمًا على ثلاثة مُحَدِّدَات هي:

أولا- المحدّد التداوليّ:

والمقصود به عموما هو "جملة من المبادئ والقواعد العامة التي تقوم بها الممارسة الإسلامية العربية وتتميز عن سواها من الممارسات غير الإسلامية وغير العربية"[16] وقد عدّه طه عبد الرحمن مظهرًا من مظاهر الإنتاجيَّة المفيدة في التراث التي تتحدّد فيها المفاهيم الاصطلاحيَّة؛ لغويَّة كانت أم معرفيَّة ضمن سياقاتها العلميَّة الواردة فيها[17]. ويتصف المجال التداولي بقدرته على استحضار أغراض المتكلم ومقاصده ويركز المجال التداولي على

الاشتغال اللغوي بصفته أصلا من أصول المجال التداولي، وقد قُسِّم قواعد المجال التداولي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: عقدية، ولغوية وعقلية.

ثانيا- المحدّد التداخليّ:

يقوم هذه المحدد من خلال اشتراك وسائل إنشاء المعرفة التراثية بمضامينها نقدا ونقلا وربط مقوماتها بنتائجها. ومعنى ذلك، أنّ معارف التراث تتَّسم بالاشتراك في الأصول والغايَّة الكبرى، وهو ما حصل من تفاعل العلوم الإسلاميَّة الأصليَّة التي تنتمي إلى المجال التداوليّ الإسلاميّ العربيّ، وفي هذا الشأن يقول: "إن المعرفة الإسلاميَّة تتداخل أنساقها، تداخلاً كاملاً، فالفقه كان موصولاً بعلم الكلام، وعلم الكلام كان موصولاً بالفلسفة الإسلاميَّة، فقد حصل في التراث الإسلاميّ تداخلٌ قويٌّ بين المعارف إلى حد أن بعض العلماء جمع بين الفقه والفلسفة"[18].

ثالثا- المحدّد التقريبيّ:

لقد شكّل مصطلح التقريب♦ منهجيَّة خاصّة لدى طه عبد الرحمن في قراءته للتراث العربي، فقد حاول توظيفه ضمن نسق معرفي أصيل، يزاوج بين الأصالة والمعاصرة، بهدف نقل كل ما هو تصحيحي قائم على قواعد تداوليَّة أصيلة مرتبطة بأصول عقديَّة أو لغويَّة أو معرفيَّة، شريطة وصولها إلى درجة اليقين؛ كونها تُمثِّل مجالات تداوليَّة نوعيَّة وخاصة، يتمايز من خلالها تراثنا العربيّ الإسلاميّ عن باقي الأنساق المعرفيَّة الأخرى[19]، كما دعا إلى ضرورة التفريق بين التقريب النظري الذي يتعلق بتصحيح العلوم النظريَّة وتكييفها مع المحدّد التداولي والمحدد التقريبي العملي الذي يتعلق بتنقيح العلوم العمليَّة المنقولة وتوجيهها بمقتضى موجهات المجال التداولي.

1.3- أنواع التَّداخل المعرفيّ طه عبد الرحمن : لقد ميز بين نوعين من التداخل المعرفي في علوم التراث العربي الإسلامي:

أولهما- التَّداخل المعرفيّ الداخليّ:

ويُقصد به ذلك التفاعل الحاصل بين علمين أصليين أو أكثر، وهذا ضمن إطار المجال التداولي العربي الإسلامي، وفي هذا السياق يقول: "اعلم أنّ التداخل تداخلان اثنان: أحدهما: داخلي يحصل بين العلوم التراثيَّة الأصيلة بعضها ببعض"[20]، ومثال ذلك، تداخل علم أصول الفقه مع المباحث اللغويَّة، وتداخل علوم اللسان العربي من نحو وتصريف وبلاغة، وعلم المفردات مع علم التفسير، وهي علوم نشأت في رحاب القرآن الكريم، فتأثر بعضها ببعض أخذًا وعطاءً.

ثانيهما- التَّداخل المعرفيّ الخارجيّ:

وهو حصول اندماج بين علم أصلي وعلم آخر غير أصلي، وقد أوضح ذلك بقوله: "والثاني: خارجي يحصل بين العلوم وغيرها من العلوم المنقولة؛ وإذا كان الأمر كذلك، فإنَّ أنسبَ العلوم الأربعة♦لبيان التَّداخل المعرفيّ، هما: من جهة، علم الأصول باعتباره نسيجاً متكاملاً من معارف إسلاميَّة متنوعة؛ ومن جهة ثانيَّة، الفلسفة الإلهيَّة باعتبارها علماً منقولاً اندمجت فيه بنيات معرفيَّة تراثيَّة أصليَّة"[21]، وهي علوم نشأت وتكونت خارج التراث المعرفي العربي الإسلامي الأصيل، كعلم المنطق والفلسفة اللذان وُظِّفَتْ مصطلحاتهما ومناهجهما في العلوم الشَّرعيَّة والنَّحويَّة والبلاغيَّة.

وبناء على هذا، فقد تم التفريق بين ضربين من التداخل المعرفي: الأول داخلي: وهو ما وقع من تفاعل بين العلوم الإسلاميَّة الأصيلة التي تنتمي إلى المجال التداول العربيّ

الإسلاميّ، محققة بدلك وحدة معرفيَّة جامعة. والثاني خارجي: وهي العلوم الوافدة إليه، والتي انصهرت في نظام المعرفة الاسلاميَّة حتّى أضحت جزءًا لا يتجزأ منه، وهي تمثل مرحلة متأخرة؛ لأنَّ المجال التداولي لهذه المرحلة كان أكثر استجابة لتقبل هذه العلوم، بسبب الحاجة الماسة لها، ولاسيَّما علم المنطق بحكم خاصيته المعياريَّة التي تحكم هذا العلم. وما أقضى ذلك إلى طه عبد الرحمن يؤسس مشرعه القرائي على ثلاث مقدمات وهي:

أولا- مقدمة التركيب المزدوج للنص التراثي، فخصوصية النص التراثي تقوم على خصوصيات كيفية إنشائه وتبليغه، لذلك فدارس التراث مطالب بإقامة بحثه في مضامين التراث على البحث في الآليات التي أنتجت هذه المضامين، مبينا خصائص هذه الآليات الإنتاجية وشروطها وقوانينها وآثارها في تشكيل المعرفة داخل التراث.

ثانيا- مقدمة تنقل الآليات الإنتاجية، فالآليات الإنتاجية للتراث تختص بكونها تقبل أكثر من غيرها التنقل من حقل معرفي إلى آخر، والتجول بين مختلف حقول المعرفة وأصناف العلوم، حتى إن الآلية الواحدة قد تشترك في استخدامها علوم متباينة في مقاصدها ووسائلها.

ثالثا- مقدمة تشبع التراث بآليات إنتاجية دقيقة ومتنوعة؛ استحكمت في مضمون النص التراثي، بحيث لا يمكن فهم هذا النص بغير معرفة تامة بأصول وفصول هذه الآليات.[22]

الخاتمة:

لقد قادنا هذا البحث إلى جملة نتائج متعلقة بالنظرة التكاملية لقراءة التراث الإسلامي العربي عد **طه عبد الرحمن**، ويمكن نوجزها في النقاط الآتية:

- إن التجديد في قراءة التراث الإسلامي العربي عند **طه عبد الرحمن** يقوم على مرتكزات أساسية منها: التجديد في المنطقات والآليات والعمل من أجل تأسيس مقومات الإبداع والاستقلالية في الرؤية الحضارية والتّحرر من أشكال التقليد والتبعية، وتجاوز الحداثة الغربية بكل مظاهرها إلى تحقيق الحداثة الإسلامية، ولا يتأتى ذلك إلّا من خلال التزام **المتفلسف العربي** في قراءته للتراث بقواعد المجال التداولي الإسلامي العربي ومقتضياته في الفهم والتفسير والتأويل،

- قدّم **طه عبد الرحمن** نقدًا عميقا في الرّد على **المقاربة التجزيئية** العربية للتراث التي وظفت فيها مفاهيم منقولة من المجال التداولي الغربي دون مراعاة لبعض مقتضيات أصول المجال التداولي العربي والإسلامي والتي تشمل اللغة والعقيدة و المعرفة.

- يرى **طه عبد الرحمن** أن قراءة التراث نشاط علمي واعي يسعى إلى إعادة إنتاج القيم والمعاني والتصورات في صورة جديدة تجمع بين خصوصية الذات، واستقلالية الرؤية، وفاعلية إبداعية حضارية متميزة تعمل على تمثل واعي للموروث الحضاري الإسلامي العربي، ضمن نظرية متكاملة تسهم في إنتاج المقروء، لكي يُصبح بعد القراءة له موجود جديد، وليس هو النص المقروء بعينه.

- تعتمد قراءة **طه عبد الرحمن** للتراث على نظرة الشمولية والتكاملية البعيدة على التفاضل والتجزئية، للموروث الحضاري التي تبحث فيه عن نتائج مسبقة، فهو يدعو إلى استثمار أدوات قرائية مأصولة من أصول المجال التداول الإسلامي العربي وليست بأدوات

منقولة ومستوردة من نظريات أو مناهج غربية لها مجاله التداولي الخاص بها، كما يرى ضرورة التدليل على وسائله ومضامينه الظاهرة والخفية.

- يدعو **طه عبد الرحمن** إلى القراءة الواعية للتراث عبر التفاعل الإيجابي مع الدين والإبداع الموصول بأصول المجال التداول الإسلامي ،وعدم الاكتفاء بنقله، بل عن طريق اعتماد خطة (**التأنيس المبدعة**)، هي عملية إعادة الإنسان لموقعه اللائق والمناسب لرسالته في هذا الكون ويعيد للخالق مكانته، وكذلك من خلال (**التعقل المبدع**) ويقصد به الاستثمار في كل الوسائل والمنهجيات الحديثة بإضافة إلى(**التأريخ المبدع**)الذي يربط الآيات القرآنية بظروف بيئتها وزمانها، وسياقاتها المختلفة ترسيخا للأخلاق، ولا يتم ذلك إلا من خلال قراءة للمسارات التاريخي التي مر بها هذا التراث، وذلك بالعودة إلى مبدأ (**التدبر) و(الاعتبار) القرآنيين**، فلا دخول للمسلمين إلى الحداثة إلا بحصول قراءة جديدة للقرآن الكريم كما يقول ،وكذا الأخذ بمبادئ روح الحداثة الثلاث حسب رأيه، وهي :**الرشد والنقد والشمول.**

- القراءة التكاملية للتراث عند **طه عبد الرحمن** مبنية على وعي الذات للذاتها من خلال عملية تقريب العلوم المنقولة إلى المجال التداولي العربي الإسلامي، ما يجعها تحافظ على خصوصيتها المعرفية والحضارية، كما يمكن لها أن تدخل في حوار وتفاعل مع منظومات معرفية أخرى.

- توظيف المنهج التداخلي في قراءة التراث الإسلامي العربي باعتباره آلية منهجية تفسّر لنا الترابطات العلمية المتداخلة قصد تحقيق قراءة متكاملة لهذا التراث.

- زحزحة التقليد الذي غشي تقويم التراث الإسلامي، وذلك من خلال كشف مختلف أوهام القراءات المعاصرة للتراث، وهدم المشاريع التي وظفت الآليات الاستهلاكية المنقولة، وبيان قصور منهجيات العقلانية المعاصرة، والتي أخذت تفقد دقتها حتى في موطنها الأصلي.

قائمة الإحالات:

1- طه عبد الرحمن، سؤال المنهج: في أفق التأسيس لأُنموذج فكري جديد، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، لبنان، ط2، 2010م، ص43.

2 – المرجع نفسه، ص44.

3 - محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيروت، دط، 1991م، ص45.

4 - المرجع نفسه، ص51.

5 - المرجع نفسه، ص44.

6 – المرجع نفسه، ص44.

7 - المرجع نفسه، ص59.

8 - محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1990م ص27.

9 - محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص26

10 - عبد القادر بودومة، الحداثة وفكر الاختلاف، منشورات الاختلاف، الجزائر، دط، 2003م، ص103.

11- أدونيس، الثابت والمتحول: بحث في الإبداع والإتباع عند العرب، دار الساقي، بيروت، ط7، 1994م، ج1، ص32.

12 - محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ص33.

13 - المرجع نفسه، ص21.

14 - المرجع نفسه، ص48.

15 - عباس أرحيلة، فيلسوف في المواجهة: قراءة في فكر طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص103- 104.

16 - طه عبد الرحمن، سؤال المنهج: في أفق التأسيس لأُنموذج فكري جديد، ص 213.

17 - ينظر: المرجع نفسه، ص 292.

18- طه عبد الرحمن، الحوار أُفُقاً للفكر، الشبكة العربيَّة للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013م، ص213.

♦- والمقصود بـ**(التقريب)** "هو وصل بين طرفين اثنين أحدهما: **مصدر التقريب**، وهو المنقولات الأجنبيَّة. والثاني، **مقصد التقريب**، وهو المجال التداولي الأصلي" ينظر: طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص273.

19 – ينظر: المرجع نفسه، ص273 وما بعدها.

20 - المرجع نفسه، ص75.

♦- المقصود بالعلوم الأربعة هي: أصول الفقه، وعلم الأخلاق، والمنطق الصوري، والفلسفة الإلهيَّة. ينظر: المرجع نفسه، ص75.

21 – المرجع نفسه، ص75-76.

22 - أحمد اتزكنرمت، آليات قراءة النص التراثي عند طه عبد الرحمن، الموقع الإلكتروني أنفاس نت :https://www.anfasse.org/e-cle/dbqu11516987/3629.html